أسلوب الاستفهام في ديوان زهرة الصبّار للسعداوي

دراسة لسانية تداولية في ضوء نظرية الأفعال الكلامية

عمر علي سليمان البارواني- جامعة مصراتة – ليبيا
o.albarouni@edu.misuratau.edu.ly

مُلَّخصُ:

يهدف هذا البحث إلى استنطاق النص الأدبي؛ لإبراز المعاني الخفية للألفاظ اللغوية ووظيفتها في سياقات لغوية تراعي المقامات والأغراض الكلامية، وهو ما سيطبق على أسلوب الاستفهام في قصيدة من ديوان زهرة الصبار لعبد الله السعداوي، في ضوء ما يصطلح عليه في الدرس اللساني الحديث بالتداولية، وفي جانب مهم منها، وهو نظرية الأفعال الكلامية، فحمل البحث عنوان (أسلوب الاستفهام في ديوان زهرة الصبار للسعداوي، دراسة لسانية تداولية في ضوء نظرية الأفعال الكلامية)، وتكونت خطة البحث من مقدمة، ثم تمهيد حول أسلوب الاستفهام والتداولية والتعريف بالشاعر، ثم المبحث الأول لدراسة أدوات الاستفهام أحادية المبنى وثنائيته، ثم المبحث الثاني لدراسة أدوات الاستفهام ثلاثية المبنى، تعقبهما خاتمة لذكر أهم النتائج.

الكلمات المفتاحية: الاستفهام، الصبار، السعداوي، التداولية، الكلامية.

مقدمة:

إن مهمة اللغة لا تقف عند حد كونها أصواتًا منطوقة لغرض التواصل والتفاهم؛ بل هي حاملة للمعاني الكامنة وراء ما يظهر من اللفظ اللغوي، من هنا كان لزامًا على مستعمل اللغة مراعاة بعض المقامات اللغوية، وتوظيف اللغة وفق ما يستدعيه المقام والسياق اللغوي، وهو ما ذكره علماء البلاغة والنحو، فبينوا مقاصد الكلام وأغراضه، حتى قالوا: لكل مقام مقال، ثم أضحت لهذه المقامات والسياقات اللغوية دراسات حديثة، هو ما يطلق عليه في الدرس اللساني الحديث

تاريخ الاستلام: 2022/09/09 تاريخ النشر: 2022/12/01

(التداولية)، والتي من فروعها (نظرية الأفعال الكلامية)، وهو ما أراد الباحث أن يسلط الضوء عليه في هذا البحث، مطبقًا مبادئ هذه النظرية على أسلوب الاستفهام في ديوان زهرة الصبار للشاعر عبد الله السعداوي، فجاء عنوان البحث (أسلوب الاستفهام في ديوان زهرة الصبار للسعداوي، دراسة لسانية تداولية في ضوء نظرية الأفعال الكلامية).

وقد تأسس البحث- بعد المقدمة- على تمهيد للحديث عن أسلوب الاستفهام، وكذلك عن التداولية وبعض ما يتعلق بها، وللتعريف بالشاعر، ثم المبحث الأول، وقد خصصته لأدوات الاستفهام أحادية المبنى وثنائيته، والمبحث الثاني خصصته لأدوات الاستفهام ثلاثية المبنى، ثم خاتمة لذكر أهم النتائج، ثم فهرس للمصادر والمراجع.

وقد اخترت ديوان السعداوي؛ لعدم وجود دراسات سابقة عليه، وكذلك لكونه ليبيًّا؛ فأحببت إبرازه وبيان شاعريته من خلال استخدامه لأسلوب الاستفهام في ديوانه. وعند تحليل أسلوب الاستفهام في الديوان انتقيت نصًّا واحدًا لكل أداة من القصائد العمودية، ولم أتجاوز أكثر من ذلك إلا في موضع أو موضعين ومن القصيدة نفسها؛ لغرض إتمام التحليل؛ واقتصاري هذا لأجل ضيق المقام في البحث الحالي. واعتمدت في هذا البحث على المنهج الوصفي التحليلي لمناسبته وطبيعة المادة المدروسة ومتطلبات الدراسة الحالية. وكان من بين المصادر التي استعنت بها في الجانب التحليلي رسالة ماجستير بعنوان: (أسلوب الاستفهام في ديوان حصار لمدائن البحر، لمحمود درويش، دراسة تداولية).

تمهيد:

الاستفهام نوع من أنواع الإنشاء الطلبي: وهو ما يستدعي مطلوبًا غير حاصل في اعتقاد المتكلّم وقت الطلب، ويكون الإنشاء بأنواع من الكلام الطلبي، هي: الأمر، والنهي، والتحذير، والإغراء، والنداء، والتمنّي، والترجّي، والدعاء، والاستفهام[1].

أولًا- الاستفهام لغة واصطلاحً:

الاستفهام في اللغة: مصدر اسْتَفْهَمَ، وهو مأخوذ من الفَهْمِ، قال ابن منظور: "الفَهْمُ: مَعْرِفَتُكَ الشَّيْءَ بِالْقَلْبِ. فَهِمَه فَهْمًا وفَهَمًا وفَهَامَةً: عَلِمَه...، وفَهِمْت الشَّيْءَ: عَقَلْتُه وعرَفْته. وفَهَّمْت فُلَانًا وأَفْهَمْته، وتَفَهَّم الْكَلَامَ: فَهِمه شَيْئًا بَعْدَ شَيْءٍ...، واسْتَفْهَمه: سأَله أَنْ يُفَهِّمَه. وَقَدِ اسْتفْهَمَني الشيءَ فأَفْهَمْته وفَهَّمْته تَفْهِيمًا"[2].

[1] ينظر: البلاغة العربية للميداني، ص:228.

[2] لسان العرب، (فهم).

تاريخ الاستلام: 2022/09/09 تاريخ النشر: 2022/12/01

وفي الاصطلاح: عرِّف بتعريفات كثيرة، منها: أن "الاستفهام استعلام ما في ضمير المخاطب. وقيل: هو طلب حصول صورة الشيء في الذهن؛ فإن كانت تلك الصورة وقوع نسبة بين الشيئين أوْ لَا وقوعها؛ فحصولها هو التصديق، وإلا فهو التصور"[3]. أو "هو طلب العلم بشيء لم يكن معلومًا من قبل، وذلك بأداة من إحدى أدواته"[4]. أو هو "طلب المتكلم من مخاطبه أن يحصل في ذهنه ما لم يكن حاصلًا عنده مما سأله عنه"[5]. والحاصل من هذه التعريفات أن الاستفهام: طلب العلم بشيء غير معلوم عند المستفهِم.

أدوات الاستفهام: للاستفهام أدوات معينة، هي: الهمزة، وهَلْ، ومَا، ومَنْ، وأيّ، وكَمْ، وكَيْفَ، وأَيْنَ، وأَنَّى، ومَتَى، وأَيّانَ[6].

وتنقسم هذه الأدوات بحسب الطلب إلى ثلاثة أقسام:

1- ما يطلب به التصور تارة، والتصديق تارة أخرى، وهو حرف (الهمزة).

2- ما يطلب به التصديق فحسب، وهو حرف (هل).

3- ما يطلب به التصور فحسب، وهو باقي أدوات الاستفهام[7].

وعلى هذا فالاستفهام قسمان: تصديق، وتصور:

أ- فإن كانت الصورة المطلوب حصولها في الذهن وقوع نسبة بين المسند والمسند إليه، أو عدم وقوعها، كان إدراكها تصديقًا.

ب- وإن كانت الصورة المطلوب حصولها مسندًا، أو مسندًا إليه، أو نسبة مجردة، أو شيئًا من المتعلقات؛ كان إدراكها تصورًا[8]، لا تصديقًا.

أنواع أدوات الاستفهام: وهي على نوعين: أسماء، وحروف؛ فالحروف: الهمزة، وهل، والأسماء تنقسم على وجهين أيضًا: ظروف، وأسماء، فالظروف الزمانية: متى، وأيّان، والظروف المكانية: أين، وأنّى، وأما الأسماء فهي: من، وما، وكم، وكيف[9].

معاني أدوات الاستفهام: قد يراد بالاستفهام غير هذا المعنى الأصلي له، ويستدل على المعنى المراد- الاستفهام المجازي- بالقرائن القولية أو الحالية[10].

---

[3] التعريفات، ص:37.

[4] جواهر البلاغة، ص:78.

[5] كتاب الكليات، ص:97.

[6] ينظر: الأطول 51/1.

[7] ينظر: مفتاح العلوم، ص:308، والطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز 158/3- 160، والأطول 51/1- 52.

[8] ينظر: البلاغة الصافية، ص:208.

[9] ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز 158/3، والمعجم الوافي ص:17، 53- 54، 69، 90، 100، 102، 103، 104، 252، 255، 300، 310. 311، 318، 342- 343.

[10] ينظر: مفتاح العلوم، ص:308، والبلاغة العربية للميداني، ص:258.

تاريخ الاستلام: 2022/09/09 تاريخ النشر: 2022/12/01

ولما كانت (الهمزة) و(هل) هما الحرفان من بين أدوات الاستفهام، كانت لهما معانٍ أكثر من أخواتهن، وسأذكر معانيهما خاصة، وسأرجئ معاني باقي الأدوات الواردة في الديوان المدروس عامة إلى أثناء التحليل حسب ما يتطلبه المقام والسياق. فالهمزة أصل أدوات الاستفهام[11]، والاستفهام هو المعنى الأصيل لها، وتأتي لمعانٍ أخرى، منها: التنبيه، والشتم، التوبيخ، والتمني، والتقرير[12]، والتسوية، والتعجب، والإنكار[13]، والتحقيق، والتذكير، والتهديد، والاستبطاء، والتهكم[14]. وأما (هل) فالأصل فيها أن تكون للاستفهام، وتأتي لمعانٍ أخرى، منها: النفي، والتقرير، والإثبات، والأمر[15]. وقد استبعد سيبويه أن يكون ما بعد (هل) تقريرًا أو توبيخًا في نحو: هل تضرب زيدًا؟ إذ لا يجوز ادعاء وقوع الضرب وتوبيخه عليه وتقريره به[16]. فأدوات الاستفهام عامة تؤدي- مع معنى الاستفهام- معاني أخرى بحسب ما يقتضيه المقام وبما توجهه القرينة الدالة على المعنى الإضافي[17].

ثانيًا- التداولية لغة واصطلاحا:

التداولية في اللغة: مصدر صناعي، و"الدُّولة اسم الشيء الذي يُتداول، والدَّولة الفعل والانتقال من حال إلى حال...، وتداولنا الأمر: أخذناه بالدُّوَل. وقالوا: دَوَالَيْك، أي: مداولة على الأمر...، ودالت الأيام، أي: دارت، والله يداولها بين الناس، وتداوَلَتْه الأيدي: أخذته هذه مرة وهذه مرة"[18].

وفي الاصطلاح: نظرًا للاتجاهات الكثيرة التي تحظى بها التداولية؛ لم يتفق العلماء بعدُ على تعريف موحد جامع مانع لها[19]؛ لذا تعددت تعريفاتها وتشعبت، من هذه التعريفات:

* التداولية- عند (تشارلز موريس)- هي: "العلاقة بين العلامات ومفسريها، فهي تهتم بمنتجي اللغة لا باللغة فقط، و... (هلل) يرى أن التداولية هي: دراسة الارتباط

(11) ينظر: المقتضب 74/2، 362، والجنى الداني، ص:31.
(12) ينظر: الكتاب 340/1، 343، 345، 284/2، 307، 176/3، وينظر معنى التقرير والتوبيخ والتمني في: المقتضب 291/3، 382/4.
(13) ينظر: المقتضب 287/3، 308، والجنى الداني، ص:32- 33.
(14) ينظر: الجنى الداني، ص:32- 33، ومصابيح المغاني، ص:71- 76.
(15) ينظر: الجنى الداني، ص:341- 346، ومغني اللبيب، ص:456، 459- 461، ومصابيح المغاني، ص:506- 510.
(16) ينظر: الكتاب 176/3، وشرح كتاب سيبويه للسيرافي 421/3.
(17) ينظر: مفتاح العلوم، ص:305- 306، والجنى الداني، ص:32- 33، وكتاب الكليات، ص:98- 100.
(18) لسان العرب، (دول).
(19) ينظر: النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، ص:8.

تاريخ الاستلام: 2022/09/09 تاريخ النشر: 2022/12/01

الضروري لعملية التواصل في اللغة الطبيعية بالمتكلم والسامع بالمقام اللغوي وبالمقام غير اللغوي وارتباطها بوجود معرفة أساسية وبسرعة استحضار تلك المعرفة"[20]. وذكر محمود نحلة بعض التعريفات الأخرى، منها:

* "التداولية هي دراسة اللغة من وجهة نظر وظيفية functional perspective...، التداولية هي دراسة كل جوانب المعنى التي تهملها النظريات الدلالية...، التداولية هي دراسة جوانب السياق aspects of context التي تشفر شكليا في تراكيب اللغة وهي عندئذٍ جزء من مقدرة المستعمل competence user pragmatics"[21].

وعند النظر في هذه التعريفات يتضح عدم دقتها لتكون تعريفات جامعة مانعة، ويطغى على هذه التعريفات المفهوم التداولي أكثر من كونها تعريفات بالمعنى الاصطلاحي الدقيق؛ وهذا يؤكد ما سبق ذكره من عدم وجود تعريف موحد جامع مانع، ويرى الباحث الحالي أنه يمكن تعريف التداولية بأنها: دراسة اللغة في سياقها غير المباشر. وأما من حيث المصطلح، فهناك عدة مسميات لهذا العلم، منها: التداولية، وعلم التخاطب، والذرائعية، والوظيفية، والنفعية، والاستعمالية، والبراكماتية/ البرقماتية، والتبادلية[22]. ولعل مصطلح التداولية هو الأكثر شهرة وشيوعًا بين الدارسين؛ فلذا يفضله الباحث الحالي عن غيره من المصطلحات.

علاقة التداولية ببعض العلوم: للتداولية علاقة متينة مع علم الدلالة في دراسة المعنى. ومع علم اللغة الاجتماعي في تبيين أثر العلاقات الاجتماعية في المنجز الكلامي. ومع علم اللغة النفسي في الاهتمام بقدرات المشاركين وأثرها في الأداء اللغوي، كالانتباه والذاكرة والشخصية. ومع تحليل الخطاب في الاهتمام بتحليل الحوار[23].

تنميط العبارات اللغوية: يقترح (غرايس) تنميطًا للعبارات اللغوية، يقوم على المقابلات الآتية:

1- المعاني الصريحة، وهي المدلول عليها بصيغة الجملة اللغوية ذاتها، وتشمل:

أ- المحتوى القضوي: وهو مجموع مفردات الجملة اللغوية في حال انضمام بعضها إلى بعض بالعلاقة الإسنادية.

---

[20] الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، أطروحة دكتوراة، إعداد: مؤيد عبيد آل صوينت، الجامعة المستنصرية ببغداد، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 1430ه- 2009م، ص:24- 26.

[21] آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:12.

وللمزيد حول تعريفات التداولية ينظر: المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، لعبد الحليم بن عيسى، مجلة دراسات أدبية، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، الجزائر، العدد الأول، جمادى الأولى 1429ه- ماي 2008م، ص:10- 11. وتبسيط التداولية، ص:18- 19.

[22] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:10- 11. والتداولية عند العلماء العرب، ص:15، والتداوليات وتحليل الخطاب، ص:5- 6.

[23] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:10- 11.

تاريخ الاستلام: 2022/09/09 تاريخ النشر: 2022/12/01

ب- القوة الإنجازية الحرفية: وهي القوة الدلالية المؤشر لها بأدوات تصبغ الجملة اللغوية بصبغة أسلوبية معينة، كالاستفهام، والأمر، والنداء، إلخ.
2- المعاني الضمنية: وهي المعاني التي لا تدل عليها- بالضرورة- صيغة الجملة، وإنما يحددها السياق ويوجه إليها، وتشمل:
أ- معاني عرفية: وهي الدلالات التي ترتبط بالجملة ارتباطًا أصيلًا.
ب- معاني حوارية: وهي المعاني التي تتولد تبعًا للمقامات التي تنجز في محيطها الجملة اللغوية[24]. والمفهومان التداوليان الغربيان: الإنجازي التصريحي، والإنجازي الضمني أو الإنجازي الابتدائي، يرجعان إلى ما يعرف عند (تشومسكي) بالإنجاز المقابل للقدرة، وما اشتهر عند الغربيين بالأفعال الكلامية، هو ما يُعرف عند البلاغيين بأغراض الكلام أو مقاصده أو غاياته[25].
أنواع الأفعال: ميَّز (أوستين) بين نوعين من الأفعال:
1- أفعال إخبارية: وهي الأفعال التي تصف وقائع العالم الخارجي، وقد تكون صادقة وقد تكون كاذبة.
2- أفعال أدائية: وهي التي تُنجز أو تُؤدَى بها- في ظروف ملائمة- أفعالٌ، ولا توصف بصدقٍ ولا كذبٍ، ويدخل فيها الاعتذار، والوعد، والنصح، إلخ[26].
تركيب الفعل الكلامي: ثم رأى (أوستين) أن الفعل الكلامي مركب من ثلاثة أفعال متلازمة، وتعد جوانب مختلفة لفعل كلامي واحد، وهي:
"1- الفعل اللفظي locutionary act: وهو يتألف من أصوات لغوية تنتظم في تركيب نحوي صحيح، ينتج عنه معنى محددٌ، وهو المعنى الأصلي، وله مرجع يحيل إليه.
2- الفعل الإنجازي illocutionary act: وهو ما يؤديه الفعل اللفظي من معنى إضافي يكمن خلف المعنى الأصلي.
3- الفعل التأثيري perlocutionary act: ويقصد به الأثر الذي يحدثه الفعل الإنجازي في السامع"[27].
ثم قسم (أوستين) الأفعال من حيث قوتها الإنجازية إلى خمسة أفعال، هي:

---

[24] ينظر: التداولية عند العلماء العرب، ص:34- 35.
[25] ينظر: النحو العربي من المصطلح إلى المفاهيم، ص:197.
[26] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:43- 44.
[27] آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:45- 46. وينظر: علم الدلالة (إطار جديد) لبالمر، ص:211- 212، والنص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، لفان دايك، ص:63- 64، وآليات تطبيق المنهج التداولي على النص التراثي، لهاجر مدقن، الملتقى الوطني الأول في الاتجاهات الحديثة في دراسة اللغة والأدب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة- الجزائر، 26- 27 أكتوبر 2011، ص:87.

تاريخ الاستلام: 2022/09/09 تاريخ النشر: 2022/12/01

1- أفعال الأحكام، وهي التي تصدر عن قاضٍ أو حَكَم ما.
2- أفعال القرارات، كاتخاذ قرار الإذن، والطرد، والحرمان، والتعيين.
3- أفعال التعهد، وهي تعهد المتكلم بفعل شيء، كالوعد، والضمان، والتعاقد، والقسم.
4- أفعال السلوك، وهي ردود الفعل لحدث ما، كالاعتذار، والشكر، والمواساة، والتحدي.
5- أفعال الإيضاح، وتستخدم لإيضاح وجهة نظر، أو بيان رأي، وتكون بالاعتراض، والتشكيك، والإنكار، والموافقة، والتصويب، والتخطئة[28].

ثالثًا- التعريف بالشاعر: سيكون التعريف بالشاعر في النقاط الآتية:

1- اسمه: عبد الله بشير السعداوي.

2- مولده: ولد السعداوي في 22 مايو من عام 1949م بقرية (زمورة)، إحدى قرى مدينة مصراتة في ليبيا.

3- حياته العلمية والعملية: نال الشهادة الابتدائية من مدرسة مصراتة المركزية عام 1963م، ثم تحصل على الشهادة الإعدادية من مدرسة مصراتة الإعدادية عام 1966م، وأكمل دراسته الثانوية في مدرسة مصراتة الثانوية، ونال الشهادة في عام 1969م. ثم انتقل بعد ذلك إلى مدينة بنغازي؛ لإكمال دراسته الجامعية بالجامعة الليبية، فالتحق بكلية الاقتصاد، وتحصل منها على شهادة البكالوريوس في إدارة الأعمال عام 1974م، ثم عاد بعد ذلك إلى مدينته مصراتة؛ للعمل بشركة (ليبيا للتأمين) من عام 1975م، إلى عام 1980م. وسافر إلى الولايات المتحدة، ودرس بجامعة (أوكلاهوما سيتي)، وتحصل على درجة الماجستير في محاسبة الأعمال عام 1984م، ثم رجع من الولايات المتحدة إلى أرض الوطن، واستأنف عمله بشركة ليبيا للتأمين من عام 1984م إلى عام 1995م. ثم رُشح من قبل شركة ليبيا للتأمين للعمل في مؤسسة عربية مشتركة، هي شركة الاتحاد العربي لإعادة التأمين، بمقرها الرئيسي بدمشق في سوريا، وذلك للعمل على وظيفة ممثل لـ(ليبيا) فيها، ونظرًا لما تميز به السعداوي من كفاءة مهنية، وتاريخ وظيفي مشرف، اختير مديرًا عامًّا لهذه المؤسسة، بعد أن قرر مجلس الإدارة كسر قاعدة التناوب في الرئاسة للدول العربية المساهمة، واستمر في وظيفته حتى عام 2003م.

4- إبداعاته: كان السعداوي معروفًا عنه حبه للتجربة والاشتغال بالتقنية بعقل الهاوي والمبدع في آنٍ واحدٍ، ففي أثناء دراسته بالولايات المتحدة الأمريكية نجح في تسجيل براءة اختراع موثقة باسمه، خلص فيها إلى ابتكار تقنية جديدة لتشغيل المراوح لتوليد الكهرباء.

---

[28] ينظر: آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص:46.

تاريخ الاستلام: 2022/09/09 تاريخ النشر: 2022/12/01

5- **أعماله الأدبية:** كتب عبد الله السعداوي- رحمه الله- أعماله بعد أن سقط طريح الفراش، تحت وطأة المرض، وكان كل ما يتحرك من جسده النحيل (لسانه) فقط، وكان (القلب) تحت جهاز خاص يقوم باستخراج (الزفير)؛ لأن عمل (الرئتين) على إخراج الزفير كان قد توقف. وتحت هذا الوضع، كتب عبد الله السعداوي نصوص مجموعته (عودة الديناصور)، وكذلك مجموعة شعرية أخرى، واستمر على هذا الحال عدة سنوات، كتب في آخرها سيرة أسماها: (قريبًا من التراب)، ضمنها حكايات من الماضي والحاضر، وطرح فيها رؤيته في الموت والحياة، وفي ظل هذه الظروف غير المتوقعة تشجع السعداوي، وتحدث عن بعض إنتاجه الأدبي إلى بعض المقربين منه، ومنهم صديقه الأستاذ عبد الباسط أبو مزريق- رحمه الله-، الذي جمع أعماله، وقام بتصنيف أجناسها، من شعر وقصة ومقالة، وقدمها إلى الأصدقاء للاطلاع والتداول فيما بينهم، وبعد أن تداولها قلة من المقربين الثقاة، أجمع الجميع على ضرورة الشروع في نشرها، في الوقت الذي كان السعداوي متواضعًا إلى درجة الخجل من نشر أعماله، أو السماح لأكثر من صديق مقرب للاطلاع عليها، فقد كان يتعامل معها بشيء من الخصوصية.

كان السعداوي لا يكتب نصوصه، فالمرض حال بينه وبين الإمساك بالقلم وغير القلم. وفي آخر أيامه توقفت كل مظاهر الحركة وأشكالها في أعضاء جسده، من بينها توقُّفُ (عضلة اللسان) عن الحركة. وعندما كتب نصوصه الإبداعية الثلاثة- وهي (عودة الديناصور، وزهرة الصبار، وقريبًا من التراب)- كان يُمْلِي بلسانه شبه العاجز، وكانت ابنته تترجم حركة شفتيه، وتطبع كلماته وجمله حرفًا حرفًا، على جهاز الحاسوب. خلال ثلاث سنوات من المرض، وضمن هذا الوضع المؤلم، أنتج هذا المبدع ثلاثة كتب، وعن طريق الإملاء الشفوي كتبت هذه المجموعة المحتوية على ما يربو عن سبعين نصًّا، كانت تنبض حياة وقوة، وكانت بذلك تنفيسًا عن ألم الفراش والمرض والعجز، واستطاع هذا المرض أن يستفز أديبًا مبدعًا ظل فترة طويلة لا يفكر في كتابة إنتاجه.

6- شاعريته: يلحظ الدكتور علي خشيم بعض الملحوظات على شعر السعداوي، منها ما يأتي:

- الجزالة في الألفاظ، ووفرة المفردات المعبرة عن غايته.
- الإحاطة بالكثير من الشعر القديم والحديث.
- حضور الروح الساخطة على الواقع العربي البالغ الرداءة، المتمردة على حياة الخضوع والإذعان.

تاريخ الاستلام: 2022/09/09 تاريخ النشر: 2022/12/01

- الإحساس القومي الحاد، والإيمان بوحدة هذا الوطن في ماضيه وحاضره ومستقبله، والتوجع من جرح فلسطين، والأمل في النصر القريب بإذن الله تعالى.
- تعدد الأغراض الشعرية، بين فخر، ورثاء، وحكمة، وغزل، ووصف، وغيرها[29].

7- مؤلفـــاته: كتب عبد الله السعداوي- غفر الله له- أعماله بعد أن سقـط طريح الفراش تحت وطأة المرض، فترك من آثاره الأدبية ما يأتي:

- ديوان (زهرة الصبار) الشعري، ويضم خمسة وثمانين نصًّا.
- المجموعة القصصية (عودة الديناصور).
- المجموعة القصصية (قريبًا من التراب) وهو عبارة عن سيرة الصبا والطفولة.

وقد طبعت هذه المؤلفات في (الأعمال الكاملة).

8- وفاتـــه: عندما كان السعداوي في سوريا بدأت أعراض المرض تظهر عليه، فرجع مضطرًّا إلى حضن الوطن، وظل طريح الفراش، حتى فارق الدنيا يوم الجمعة، الموافق 2006/6/23م، رحمه الله تعالى[30].

المبحث الأول
الاستفهام بالأدوات أحادية المبنى وثنائيته

ورد في الديوان الاستفهام بالأداة الأحادية المبنى (الهمزة) وبالأدوات الثنائية المبنى، وهي: (كم، ما، مَن، هل)، وأدناه تفصيل وتحليل لما تؤديه هذه الأدوات من دلالات خفية:

1- الاستفهام بـ(الهمزة):

لم يكثر الشاعر من الاستفهام بحرف الهمزة، فاستفهم بها في تسعة مواضع[31]، سواء أكانت الهمزة مفردة أم معها حرف آخر من حروف النفي[32]؛ ومن مواضع الاستفهام بها قوله في قصيدة (رفيق البراح):

"أهكذا الحياة تنتهي سدى
فيرجع الصدى
سدى سدى سدى"[33].

([29]) ينظر: ديوان زهرة الصبار، لعبد الله السعداوي، مقدمة: علي فهمي خشيم، منشورات دار الشعب للنشر والتوزيع، مصراتة– ليبيا، ط(1)، 2004م، ص:4- 5.

([30]) ينظر: موقعا الشبكة العالمية: http://mlitan.maktoobblog، http://www.elfada.com

([31]) ينظر: ديوان زهرة الصبار، ص:53، 55، 56، 114، 135، 158.

([32]) وهو ما يتولد عنه معانٍ أخرى كالعرض بـ(ألا). ينظر: الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق المجاز 161/3، وعروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح 472/1. وعندئذٍ تخلص أدوات الاستفهام للأفعال. ينظر: الكتاب 160/3.

تاريخ الاستلام: 2022/09/09 تاريخ النشر: 2022/12/01

يصور الشاعر في أول القصيدة حالة رفيقه المريض ومعاناته، من دخوله إلى غرفة العناية المشددة إلى زمن النهاية والرحيل، ولعل الشاعر كان يصف حالته المرضية التي مر بها بتمثيلها وإسقاطها على رفيق له متخيلًا، فقد ظل الشاعر طريح الفراش مدة من الزمن، صارع فيها المرض حتى توفي. فنص الأسلوب الاستفهامي مكون من جمل مشتملة على المحتوى القضوي المدلول عليه بمجموع المفردات المترابطة إسناديًّا، بين الفعل وفاعله، والقوة الإنجازية الحرفية، والمعاني الضمنية ذات المعاني العرفية والمعاني الحوارية، التي تنجز وفقًا للمقامات التي تنجز في محيطها هذه الجمل اللغوية. والأفعال اللفظية والإنجازية والتأثيرية متوفرة في النص، والتي تجسدت في الفعل االقولي اللغوي (أهكذا الحياة...)، وهو يحتوي على الفعل الصوتي، والفعل التركيبي، والفعل الدلالي، والمعاني الصريحة ذات المحتوى القضوي تكونت من حرف الاستفهام (أ)، والمبتدأ (هكذا)، وهو المسند، والخبر (الحياة) وهو المسند إليه، وهذا ما تدل عليه القرينة المعنوية والإعرابية. ولم يقصد الشاعر إنشاء الجملة لغرض إنجاز السؤال المذكور وانتظار الإجابة عنه، وإنما حمل معنى إضافيًّا خفيًّا متضمنًا في فعل القول من خلال السياق، وهو التحقير[34]. والفعل التأثيري الإيضاحي الذي حصل من الفعل القولي (سُدًى سُدًى سُدًى)، يتمركز في إبراز الشاعر الموافقة والمواساة على حالة رفيقه طريح الفراش، والذي انتهى به الأمر إلى مفارقة الحياة بعد معاناة المرض والألم مدة طويلة؛ ليؤثر في السامع أن حياة الإنسان ما هي إلا سويعات، مهما عاش من السنين.

2- الاستفهام بـ(كم):

استخدم الشاعر اسم الاستفهام (كم) في تسعة مواضع[35]، منها قوله في قصيدة (إرث قابيل):

"... أبحث في ذاكرة الدهر
أسأل كم قتل الطوفان...
ثم أعود إلى النسيان
فالنسيان ملاذ القلب
حتى تحاصره الأحزان..."[36].

---

[33] ديوان زهرة الصبار، ص:135.
[34] ينظر هذا المعنى في كتاب الكليات، ص:99.
[35] ينظر: ديوان زهرة الصبار، ص:63، 64، 65، 66.
[36] ديوان زهرة الصبار، ص:63.

تاريخ الاستلام: 2022/09/09 تاريخ النشر: 2022/12/01

يتضح من قول الشاعر (كم قتل الطوفان) أن الفعل الكلامي حمل فعلًا إنجازيًّا ذا قوة إنجازية حرفية، وهو ما يؤشر له بأداة الاستفهام (كم)، التي لا يريد الشاعر من وجودها المعنى الأولي الظاهر؛ بل قصد من إيرادها معنًى إضافيًّا يكمن خلف المعنى الأصلي، وهو الإنكار[37]. فالفعل القولي توفرت فيه الأفعال الكلامية، وهي فعل القول، أي: الفعل اللفظي، في قوله: (كم قتل الطوفان)، وهو مكون من الفعل الصوتي، والفعل التركيبي، والفعل الدلالي، والفعل الإنجازي المؤشر له باسم الاستفهام (كم)، والفعل الماضي (قَتل) وهو المسند، والفاعل (الطوفان) وهو المسند إليه، والفعل التأثيري الذي يحدث للسامع من تصوير الشاعر لما يحدث في عالم البشرية من ويلات وجرائم، وإظهارها في مظهر قبيح بشع للتنفير منها. ويظهر من تكرار الشاعر لاسم الاستفهام- في النص كاملًا- كثرة الأحداث المؤلمة التي مرت بالإنسان من عهد قابيل إلى يومنا هذا، في إشارة إلى أن وزرها على قابيل الذي خلف هذا الإرث، والتعبير بـ(كم) لا يقصد به الشاعر السؤال الأصلي الظاهر؛ بل أراد به الكثرة، واسم الاستفهام هذا وإن كان يعبر به عن الكثير والقليل؛ لكنه موضوع في الأصل للكثرة[38]، التي تستدعي الإنكار، وهو الفعل الإنجازي الذي يقصده الشاعر هنا. والفعل التأثيري السلوكي الذي حصل من الفعل القولي يتمركز في إبراز الشاعر إنكار فعل الإنسان بأخيه الإنسان على مر التاريخ، ويلجأ إلى النسيان ليهرب من الواقع المرير الذي يعيشه الإنسان، وهو بذلك يؤثر في سامعه بتحقير فعل الإنسان المقيت.

3- الاستفهام بـ(ما):

تكرر الاستفهام بـ(ما) في سبعة مواضع[39]، مرة مفردة، وست مرات مصحوبة بـ(ذا)، منها قول الشاعر في قصيدة (في بلاد الواق واق):

"أين أبناء التراب الطيبون
ما الذي فعلت بهم تلك السنون...
إنما جئت لأسمع"[40].

يقبّح الشاعر في هذه القصيدة بصفة عامة مظاهر ترفع السلطان، وتملق بعض الناس إليه، والهتاف له نفاقًا، ويصف فيها حالة المواطن البائس المسكين، الذي لا يملك من أمره شيئًا سوى الامتثال للسلطان. وقد تكوّن الفعل القولي لهذا النص من جملة (ما الذي فعلت... السنون)، وهي مشتملة على المحتوى القضوي المدلول

(37) ينظر هذا المعنى في مفتاح العلوم، ص:314.
(38) ينظر: شرح المفصل 177/3.
(39) ينظر: ديوان زهرة الصبار، ص:21، 31، 32، 54، 66، 142.
(40) ديوان زهرة الصبار، ص:31.

تاريخ الاستلام: 2022/09/09 تاريخ النشر: 2022/12/01

عليه بمجموع المفردات ذات الترابط الإسنادي، بين المبتدأ (ما) وخبره (الذي)، والقوة الإنجازية الحرفية المؤشر لها باسم الاستفهام (ما) الواقعة في موقع المسند، وحمل الفعل القولي المعاني الضمنية ذات المعاني العرفية والمعاني الحوارية، التي تنجز وفقًا للمقامات التي تنجز في محيطها هذه الجمل اللغوية. والشاعر هنا لم يعمد إلى إنشاء الجملة لغرض إنجاز السؤال المذكور وانتظار الإجابة عنه، وإنما حمّل معنًى إضافيًّا خفيًّا متضمنًا في فعل القول من خلال السياق، وهو الاستخفاف والتحقير والتعجب[41]. فالفعل السلوكي الحاصل من الفعل القولي يتمركز في إبراز الشاعر قسوة السلطان، وما يقوم به على أرض بيت المقدس من اضطهاد للفلسطينيين، ومنعهم من المرور؛ لغرض إذلالهم وتركيعهم لكل أوامره الجائرة، مدعيًا هذا السلطان أنه جاء ليسمع منهم الجواب عن أسئلة الشعب.

4- الاستفهام بـ(من):

استفهم الشاعر باسم الاستفهام (من) في خمسة مواضع[42]، منها قوله في قصيدة (بلاد الطيوب):

"لمن تشرق الشمس كل صباح
وتملأ هذا الفضاء الفسيح
ضياءً ونورًا
وتجري الرياح
وتشدو الطيور
لمن يا ثرى الطيب
هذا العبير
لمن يتورد لون الشفق"[43].

يبرز من قول الشاعر (لمن تشرق الشمس) أن الفعل الكلامي حمل فعلًا إنجازيًّا ذا قوة إنجازية حرفية، وهو ما يؤشر له باسم الاستفهام (من)، الذي لا يريد الشاعر من وجوده المعنى الأولي الظاهر؛ بل قصد من إيراده معنًى إضافيًّا يكمن خلف المعنى الأصلي، وهو التقرير والإثبات. فالفعل القولي توفرت فيه الأفعال الكلامية، وهي فعل القول، أي: الفعل اللفظي، في قوله: (لمن تشرق الشمس)، وهو مكون من الفعل الصوتي، والفعل التركيبي، والفعل الدلالي، وقد احتوى فعل القول على اسم الاستفهام (من)، والفعل المضارع (تشرق) وهو المسند، والفاعل (الشمس) وهو المسند إليه.

(41) ينظر هذه المعاني في مفتاح العلوم، ص:314.
(42) ينظر: ديوان زهرة الصبار، ص:62، 66، 85، 130.
(43) ديوان زهرة الصبار، ص:85.

تاريخ الاستلام: 2022/09/09 تاريخ النشر: 2022/12/01

ويظهر من تكرار الشاعر لاسم الاستفهام كثرة الأشياء الجميلة التي يستحقها بلده؛ بل كل هذه المظاهر الطبيعية تتحقق لأجل البلاد، والتعبير بـ(من) لا يقصد به الشاعر السؤال الأصلي الظاهر؛ بل أراد به الإقرار[44]، وهو الفعل الإنجازي الذي يقصده الشاعر هنا. والفعل التأثيري التوضيحي الذي حصل من الفعل القولي يتمركز في إبراز الشاعر صور الطبيعة التي توضح مكانة بلاده بحجر تفاعل كل ما في الكون على بلده خاصة، وفي هذا مبالغة عظيمة، ويختار من الأفعال ما يوحي بالاتساع، كالفعل (تملأ) و(تجري)؛ ليؤثر في السامع بسعة هذه الأشياء المتعجب منها.

5- الاستفهام بـ(هل):

ورد الاستفهام بـ(هل) في واحد وعشرين موضعًا[45]، منها قول الشاعر في قصيدة (اسألوا عنا):

"ضاقت الأرض علينا والسماء
يا إلهي أين نذهب...
يا إلهي هل خلقنا لنعذب..."[46].

يصف الشاعر حالة اليأس التي يمر بها الشعب الفلسطيني من معاناة، ويظهر الوضع الذي وصلت إليه حالة الشعب في مدنه المختلفة، إلى أن ضاقت الأرض والسماء- بما رحبتا- على الناس، ولا مكان لهم في غيرهما يمكن اللجوء إليه، فيصف الوضع المزري، ثم ينادي الشاعر ربه في لباس الخضوع والتذلل، ويسأله عن غرض خلقهم هل هو لأجل تعذيبهم؟ وهو ما يفيد الإنكار لوضعهم القاسي[47]، مع ما يتخلل القصيدة من أدوات استفهام أخرى تخفي معاني كثيرة غير غرض الاستفهام. وقد ظهرت أقسام الفعل الكلامي، وهي فعل القول (الفعل اللغوي) المتجسد في قول الشاعر: (هل خلقنا لنعذب)، فحمل هذا القول: الفعل الصوتي، والفعل الدلالي، والفعل التركيبي، وهو ما يتركب من حرف الاستفهام (هل)، والفعل المبني للمجهول (خلقنا) والحامل للمسند وهو الفعل (خُلق)، والمسند إليه، وهو لفظ الجلالة (الله) الفاعل المحذوف للعلم به، ثم الفضلة اللغوية، وهي المفعول لأجله (لنعذب)، وقد اقترن المكون الإسنادي بالقرينة المعنوية والإعرابية. ثم يرجع الشاعر ليربط بين الحالة التي يمر بها أبناء

---

(44) ينظر هذا المعنى في أسلوب الاستفهام في ديوان سنظل ندعوه الوطن، للشاعر عمر خليل عمر، أنموذجا، دراسة دلالية إحصائية، لحسني ناهض عبد المصري، مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون، تيارت- الجزائر، مجلد (10)، العدد (1)، مارس 2021م، ص:143.

(45) ينظر: ديوان زهرة الصبار، ص:21، 23، 40، 41، 89، 113، 136، 142، 143، 157، 158، 163، 165، 181.

(46) ديوان زهرة الصبار، ص:40.

(47) ينظر هذا المعنى في الجنى الداني، ص:33.

تاريخ الاستلام: 2022/09/09 تاريخ النشر: 2022/12/01

الشعب الفلسطيني من ظلم وضنك العيش، وبين الحالة النفسية التي وصل إليها نتيجة ذلك، وهي الغضب والغيظ فيقول:

"يا إلهي هل حرام حينما يغضبنا الظلم فنغضب"[48].

فقد تضمنت عبارة الاستفهام (هل حرام... فنغضب) معنيين اثنين، أولهما معنى حرفي أو ظاهر أو مباشر، يتمثل في القوى المنجزة الحرفية، وهي ما يُتحصل من حرف الاستفهام (هل)، والمبتدأ النكرة (حرام)، والذي سوغ الابتداء به سبقه بالاستفهام، ثم تلاهما الظرف المبهم (حين) الذي دخلت عليه (ما) الزائدة، ونلحظ هنا حضور الفعل السلوكي (يغضبنا، فنغضب) الذي يدل على ردة فعل المواطن الفلسطيني، وما يلقاه من ويلات الاستعمار. فالقوة الإنجازية الحرفية المؤشر لها بـ(هل) أدت إلى الفعل الإنجازي، وهو المعنى الإضافي من غير الفعل اللفظي، وهذا المعنى هو الإنكار[49]، فالشاعر ينكر الحالة التي وصل إليها الشعب الفلسطيني من ظلم المستعمر البغيض. فالفعل الإيضاحي الحاصل من الفعل القولي في ثنايا النص في قوله:

"وعلى كل الحدود
يطلب الحراس منا الانتظار...
أي ظلم أن نرى الأغراب في أرد الجدود
يسألون الناس إبراز الهوية"[50].

يتمركز في إبراز الشاعر الاعتراض والإنكار على مدى تعسف العدو الصهيوني، وما يقوم به على أرض بيت المقدس من اضطهاد للفلسطينيين، ومنعهم من المرور؛ لغرض إذلالهم وتركيعهم لكل أوامره الجائرة، مما يؤثر في السامع ليتفاعل مع النص، ويشعر بما يشعر به إخوته.

المبحث الثاني

الاستفهام بالأدوات ثلاثية المبنى

في هذا المبحث ستحلل أدوات الاستفهام الثلاثية المبنى، وهي: (أين، أيّ، كيف، متى)، وتفصيلها على النحو الآتي:

1- الاستفهام بـ(أين):

وظف الشاعر اسم الاستفهام (أين) في عشرة مواضع[51]، منها قوله في (قصيدة اسألوا عنا):

---

[48] ديوان زهرة الصبار، ص:41.

[49] ينظر معنى الإنكار في الجنى الداني، ص:33، ومصابيح المغاني، ص:507.

[50] ديوان زهرة الصبار، ص:41- 42.

تاريخ الاستلام: 2022/09/09 تاريخ النشر: 2022/12/01

"نحن في المنفى
وعلى كل الحدود
يطلب الحراس منا الانتظار
كلما جئنا بلادًا
نالنا فيها صَغار
ووجدنا العيش أصعب
أين نذهب، يا إلهي ما لنا في الكون مطلب
غير أن نحيا كرامًا..." [52].

يصف الشاعر حالة المواطن العربي المشرد والمبعد عن وطنه، فبعض في منفاه، وبعض يقف على حدود البلدان، وفي كل يلحقهم الذل والهوان وضنك العيش، فيرفع يديه إلى السماء داعيًا ربه على لسان المواطنين: يا إلهي أين نذهب؟ فليس لدينا وجهة نوليها غير وجهتك، فقد أوصدت في وجهنا كل الأبواب! جاء أسلوب الاستفهام (أين نذهب؟) وهو فعل كلامي تلفظي إنجازي، وهو استفهام غير مباشر، قصد به الشاعر المعنى الإضافي وهو الإنكار والتوبيخ والتقريع[53] للمتخاذلين من إخوانهم العرب، ولم يرد السؤال عن المكان الذي يلجأ إليه؛ ففعل القول (أين نذهب) يحمل المعنى الحرفي المؤشر له باسم الاستفهام (أين)، وكذلك من العملية الإسنادية بين المسند (نذهب) والمسند إليه الضمير المستتر وجوبًا وهو (نحن)، والمراد به الشعب الفلسطيني. فالفعل التأثيري السلوكي الذي أحدثه الفعل القولي هنا هو عدم الرضا عن الوضع السيء للشعب الفلسطيني وما يلقاه من اضطهاد وتغريب وتشريد وحرمان، وليؤثر في السامع تأثيرًا بليغًا عبر بقوله: (ما لنا في الكون مطلب غير أن نحيا كرامًا)، فنفى كل المطالب- وهي كثيرة جدًّا- واستثنى منها مطلبًا واحدًا، وهو العيش بكرامة.

2- الاستفهام بـ(أيّ):

كرر الشاعر الاستفهام بـ(أي) في سبعة مواضع[54]، منها قوله في قصيدة (اسألوا عنا):

"أي ظلم أن نسمى لاجئين
نحن من لجأ الناس إلينا
عبر آلاف السنين
أي ظلم أن ترى الأغراب في أرض الجدود...

---

[51] ينظر: ديوان زهرة الصبار، ص:30، 31، 41، 43، 88.
[52] ديوان زهرة الصبار، ص:41.
[53] ينظر هذه المعاني في مفتاح العلوم، ص:315.
[54] ينظر: ديوان زهرة الصبار، ص:33، 41، 42، 43.

تاريخ الاستلام: 2022/09/09 تاريخ النشر: 2022/12/01

أي ظلم أن يكون الحق في العيش قضية...
أي ظلم أن ترى الشيخ يموت...
أي ظلم أن ترى فينا وليدًا ورضيعًا
وصبيًّا في الخيام
يسأل الماء وحبات التراب
أين أرضي.. ولماذا
أنا من دون الصغار
ليس لي حقل وجيران ودار
ثم لا يلقى الجواب"[55].

يصور الشاعر في هذا النص حالة الشعب الفلسطيني وما يتعرض له من ظلم واضطهاد لم يرحم الطفل الصغير ولا الشيخ العجوز، فيرى عدوه يعثو في أرضه فسادًا. ويتضح من قول الشاعر (أي ظلم أن نسمى لاجئين) أن الفعل الكلامي حمل فعلًا إنجازيًّا ذا قوة إنجازية حرفية، وهو ما يؤشر له باسم الاستفهام (أي)، الذي لا يريد الشاعر من وجوده المعنى الأولي الظاهر؛ بل قصد من إيراده معنًى إضافيًّا يكمن خلف المعنى الأصلي، وهو التعجب[56] الإنكار[57]. فالفعل الكلامي توفرت فيه الأفعال الكلامية، وهي فعل القول، أي: الفعل اللفظي، في قوله: (أي ظلم أن نسمى لاجئين)، وهو مكون من الفعل الصوتي، والفعل التركيبي، والفعل الدلالي، وقد احتوى فعل القول على اسم الاستفهام (أي)، وقد حمل الفعل القولي اسم الاستفهام وهو المحتوى القضوي المسند إليه نفسه، والمصدر المؤول من أن والفعل بعدها، المقدر بـ(تسميتنا) هو المسند. ويظهر من تكرار الشاعر لاسم الاستفهام كثرة أنواع الظلم الواقع على الشعب الفلسطيني، والتعبير بـ(أي) لا يقصد به الشاعر السؤال الأصلي الظاهر؛ بل أراد به الإنكار، وهو الفعل الإنجازي المراد هنا. والفعل التأثيري الإيضاحي الذي حصل من الفعل القولي يتمركز في إبراز الشاعر حالة تخطئة أن يسمى الفلسطينيون لاجئين، ويزيد من توضيح وجهة نظره فيعترض بأنهم هم من يلجأ الناس إليهم، وتخيّر من الألفاظ ما يستدر به عاطفة سامعيه فيؤثر فيه، وهو قوله: (الشيخ)، و(وليدًا رضيعًا، وصبيًّا)؛ لأن هؤلاء ينظر إليهم الجميع نظرة رأفة ورحمة، وهذا يحقق ما أراده الشاعر من إيصال رسالته للمتلقي بإحداث تفاعل مضمون من خلال الفعل التأثيري.

---

[55] ديوان زهرة الصبار، ص:41- 43.
[56] ينظر هذا المعنى في مفتاح العلوم، ص:314.
[57] ينظر هذا المعنى في مصابيح المغاني، ص:191.

تاريخ الاستلام: 2022/09/09 تاريخ النشر: 2022/12/01

3- الاستفهام بـ(كيف):

أورد الشاعر الاستفهام بـ(كيف) في عشرة مواضع[58]، منها قوله في قصيدة (العصفور):

"حط العصفور على الشجرة
طار العصفور
فانظر سبحان الخلاق
كيف يطير وكيف يصيح"[59].

يحمل الفعل القولي (كيف يطير وكيف يصيح) فعلًا كلاميًّا من النوع التلفظي الإنجازي، تمثل في الاستفهام الحامل للمعنى الإضافي الكامن خلف المعنى الأصلي، المؤشر له بالأداة (كيف)، والغرض منه التعجب[60] في كليهما. وقد تكون الفعل القولي في الجملتين الاستفهاميتين من اسم الاستفهام (كيف)، والمسند وهو الفعل المضارع (يطير) و(يصيح)، وهما يدلان على الاستمرار وتجدد الحركة. وأما الفعل الإنجازي الذي يؤديه الفعل اللفظي من معنًى إضافيٍّ فهو التعجب، حيث يتعجب الشاعر من صنع الله لهذا المخلوق في طيرانه وتنقله وتغريده، وهو ما يزيد من إيمان الشاعر بربه الخلاق، الذي أبدع في صنعه، فالفعل التأثيري المتحصل من الفعل القولي هو تعجب الشاعر من طيران العصفور وتغريده؛ ويؤكد هذا المعنى التعجبي الضمني بقوله مخاطبا الآخر المتخيل في المشهد الحواري: (فانظر سبحان الخلاق). والفعل التأثيري السلوكي الذي حصل من الفعل القولي يتمركز في إبراز الشاعر حاله وهو يتعجب من مخلوقات الله، مما يستلزم شكر الله على هذه النعم، واختيار الشاعر العصفور دون غيره من الطيور؛ لضعفه ولتحريك مشاعر السامع نحو هذا المخلوق؛ لبيان عظمة الخالق، ومن ثم يعطي الفعل التأثيري ثمره من الاستفهام عن طيران العصفور وتغريده، إلخ.

4- الاستفهام بـ(متَى):

جاء الاستفهام بـ(متى) في موضعين[61]، منهما قول الشاعر في قصيدة (نبي السلام):

"ألا أيهذا النبي الكريم
متى ستقوم
لتدفع عنا بلاء السنين
فنحن صُلبنا بغير ذنوب"[62].

---

[58] ينظر: ديوان زهرة الصبار، ص:29، 57، 146، 147، 161، 163.
[59] ديوان زهرة الصبار، ص:146.
[60] ينظر هذا المعنى في مفتاح العلوم، ص:314، ومصابيح المغاني، ص:338.
[61] ينظر: ديوان زهرة الصبار، ص:25، 116.

تاريخ الاستلام: 2022/09/09 تاريخ النشر: 2022/12/01

يظهر يتحسر الشاعر في هذه القصيدة على ما حل بأرض بيت المقدس، وعدم اهتمام حكام الشعوب العربية بها، وما يقوم به المحتل من ظلم واضطهاد للشعب الفلسطيني على أرضه. ويتضح من قول الشاعر (متى ستقوم) أن الفعل الكلامي حمل فعلًا إنجازيًّا ذا قوة إنجازية حرفية، وهو ما يؤشر له باسم الاستفهام (متى)، الذي لا يريد الشاعر من وجوده المعنى الأولي الظاهر؛ بل قصد من إيراده معنًى إضافيًّا يكمن خلف المعنى الأصلي، وهو التمني والاستبطاء[63]. فالفعل الكلامي توفرت فيه الأفعال الكلامية، وهي فعل القول، أي: الفعل اللفظي، في قوله: (متى ستقوم)، وهو مكون من الفعل الصوتي، والفعل التركيبي، والفعل الدلالي، وقد احتوى فعل القول على اسم الاستفهام (من)، والفعل المضارع (ستقوم) وهو المسند، والفاعل الضمير المستتر وهو (أنت) وهو المسند إليه. والتعبير بـ(متى) لا يقصد به الشاعر السؤال الأصلي الظاهر (الاستفهام عن الزمن)؛ بل أراد به تمني نزول عيسى- عليه السلام-، وهو الفعل الإنجازي الذي يقصده الشاعر هنا. والفعل التأثيري الذي حصل من الفعل القولي يتمركز في إبراز الشاعر تعسف العدو الصهيوني، وما يقوم به على أرض بيت المقدس من اضطهاد وظلم للشعب الفلسطيني من غير ذنب ارتكبه، واختار الفعل (صلبنا) ليظهر بشاعة فعل العدو؛ لأن الصلب من القتل البطيء البشع، وهذه الصورة تبعث في السامع الكره والاشمئزاز مما يفعله العدو بإخواننا الفلسطينيين، وبذلك يتحقق مراد المرسل من رسالته إلى المتلقي.

خاتمة:

بعد تتبع أدوات الاستفهام في ديوان (زهرة الصبار) لعبد الله السعداوي، وتحليلها وفق نظرية الأفعال الكلامية، رصد الباحث بعض النتائج التي يمكن بيانها في الآتي:

- أن علوم العربية ذات علاقة متينة بعضها ببعض؛ هناك كثير من المسائل التي تدرس بين علوم البلاغة وعلوم النحو.
- أن جذور التداولية موجودة في الدراسات اللغوية العربية، كالنحو والبلاغة.
- أن السياق والمقام لهما فضل كبير في تحيد المعاني المجازية غير الظاهرة، وأن هذه المعاني المجازية لا تقف عند حد ما ذكره العلماء فحسب؛ بل تتنوع وفق ما يقتضيه المقام، ووفق تذوق مستعمل اللغة وفهمه.

---

[62] ديوان زهرة الصبار، ص:25.

[63] ينظر معنى الاستبطاء في مفتاح العلوم، ص:315.

تاريخ الاستلام: 2022/09/09 تاريخ النشر: 2022/12/01

- أن الشاعر ذكر الأداة الاستفهامية (هل) أكثر من باقي أخواتها، حيث بلغ ذكر أدوات الاستفهام (80) مرة: الهمزة (09)، كم (09)، ما (07)، من (05)، هل (21)، أين (10)، أيّ (07)، كيف (10)، متى (02)، في حين لم يذكر أداتين مطلقًا، وهما: (أنَّى) و(أيّان).
- أن استعمال الشاعر للأدوات بالمعاني المجازية يدل على براعته الشعرية، وعمد إلى ذلك ليشرك السامع في تذوق النص، فاعتمد على أسلوب الاستفهام المجازي (79) مرة، ولم يذكر الاستفهام الحقيقي إلا مرة واحدة.
- أن الشاعر نوّع من ذكر الأغراض والمعاني البلاغية لأدوات الاستفهام في الديوان، كالإنكار، والتقرير، والتعجب، إلخ.
- اتضح من خلال الديوان أن الشاعر كان متأثرا بما يصيب إخوانه الفلسطينين، وجور الحكام والسلاطين، إضافة إلى انعكاس الحالة الصحية للشاعر على شعره، حتى طغت قصائد الحزن والألم على قصائده.
- دراسة النص العربي بنظريات حديثة يضفي على اللغة سمة التجدد والحداثة والتطور.

تاريخ الاستلام: 2022/09/09 تاريخ النشر: 2022/12/01

المصادر والمراجع

أولًا- الكتب:

- آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، تأليف: محمود محمد نحلة، دار المعرفة الجامعية، 2002م.
- الأطول شرح تلخيص مفتاح العلوم، تأليف: عصام الدين إبراهيم بن محمد بن عربشاه، حققه وعلق عليه: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت.
- البلاغة الصافية في المعاني والبيان والبديع، تأليف: حسن بن إسماعيل بن حسن بن عبد الرازق الجناجيُ، المكتبة الأزهرية للتراث، القاهرة- مصر، 2006م.
- البلاغة العربية، تأليف: عبد الرحمن بن حسن حَبَنَّكَة الميداني الدمشقي، دار القلم، دمشق، الدار الشامية، بيروت، ط(1)، 1416ه- 1996م.
- تبسيط التداولية من أفعال اللغة إلى بلاغة الخطاب السياسي، تأليف: بهاء الدين محمد مزيد، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط(1)، 2010م.
- التداولية عند العلماء العرب، دراسة تداولية لظاهرة الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي، تأليف: مسعود صحراوي، دار الطليعة، بيروت، ط(1)، 2005م.
- التعريفات، تأليف: علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب العربي، بيروت، ط(1)، 1405ه.
- الجنى الداني في حروف المعاني، تأليف: أبي محمد بدر الدين حسن بن قاسم بن عبد الله بن عليّ المرادي، تحقيق: فخر الدين قباوة، ومحمد نديم فاضل، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط(1)، 1413ه- 1992م.
- جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، تأليف: أحمد بن إبراهيم بن مصطفى الهاشمي، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، بيروت.
- ديوان زهرة الصبار، لعبد الله السعداوي، مقدمة: علي فهمي خشيم، منشورات دار الشعب للنشر والتوزيع، مصراتة– ليبيا، ط(1)، 2004م.
- شرح كتاب سيبويه، تأليف: أبي سعيد الحسن بن عبد الله السيرافي، تحقيق: أحمد حسن مهدلي، وعلي سيد علي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(1)، 2008م.
- شرح المفصل، تأليف: أبي البقاء موفق الدين يعيش بن علي بن يعيش، قدم له: إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(1)، 1422هـ- 2001م.
- الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، تأليف: يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد بالله، المكتبة العصرية، بيروت، ط(1)، 1423ه.

تاريخ الاستلام: 2022/09/09 تاريخ النشر: 2022/12/01

- عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح، تأليف: أبي حامد بهاء الدين أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية للطباعة والنشر، بيروت، ط(1)، 1423ه- 2003م.
- علم الدلالة (إطار جديد) لبالمر، ترجمة: صبري إبراهيم السيد، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992م.
- الكتاب، تأليف: أبي بشر سيبويه عمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط(3)، 1408ه- 1988م.
- كتاب الكليات، تأليف: أبي البقاء أيوب بن موسى الكفوي، تحقيق: عدنان درويش، ومحمد المصري، مؤسسة الرسالة، بيروت.
- لسان العرب، تأليف: جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور، دار صادر، بيروت، ط(1).
- مصابيح المغاني في حروف المعاني، تأليف: محمد بن علي المعروف بابن نور الدين الموزعي، دراسة وتحقيق: عائض بن نافع العمري، دار المنار.
- المعجم الوافي في أدوات النحو العربي، تأليف: علي توفيق الحمد، ويوسف جميل الزعبي، دار الأمل، إربد، ط(2)، 1414هـ- 1993م.
- مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تأليف: جمال الدين أبي محمد عبد الله بن يوسف بن هشام، تحقيق: مازن المبارك، ومحمد علي حمد الله، دار الفكر، بيروت، ط(6)، 1985م.
- مفتاح العلوم، تأليف: أبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد بن علي السكاكي الخوارزمي، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه: نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، ط(2)، 1407ه- 1987م.
- المقتضب، تأليف: أبي العباس محمد بن يزيد المبرد، تحقيق: محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت.
- النحو العربي من المصطلح إلى المفاهيم، تقريب توليدي وأسلوبي وتداولي، تأليف: محمد سويرتي، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2007م.
- النص والسياق، استقصاء البحث في الخطاب الدلالي التداولي، لفان دايك، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 2000م.
- النظرية التداولية وأثرها في الدراسات النحوية المعاصرة، تأليف: أحمد فهد صالح شاهين، عالم الكتب الحديث، إربد، ط(1)، 2015م.

ثانيًا- الرسائل العلمية:

- أسلوب الاستفهام في ديوان حصار لمدائن البحر، لمحمود درويش، دراسة تداولية، رسالة ماجستير، إعداد: بلجبل وسيلة/ بن حورية فطوم، جامعة محمد

تاريخ الاستلام: 2022/09/09 تاريخ النشر: 2022/12/01

خيضر، بسكرة، كلية الآداب واللغات، قسم الآداب واللغة العربية، السنة الجامعية 2020- 2021م.
- الخطاب القرآني دراسة في البعد التداولي، أطروحة دكتوراة، إعداد: مؤيد عبيد آل صوينت، الجامعة المستنصرية ببغداد، كلية الآداب، قسم اللغة العربية، 1430ه- 2009م.

ثالثًا- الدوريات والملتقيات:
- آليات تطبيق المنهج التداولي على النص التراثي، لهاجر مدقن، الملتقى الوطني الأول في الاتجاهات الحديثة في دراسة اللغة والأدب، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة- الجزائر، 26- 27 أكتوبر 2011م.
- أسلوب الاستفهام في ديوان سنظل ندعوه الوطن، للشاعر عمر خليل عمر، أنموذجا، دراسة دلالية إحصائية، لحسني ناهض عبد المصري، مجلة فصل الخطاب، جامعة ابن خلدون، تيارت- الجزائر، مجلد (10)، العدد (1)، مارس 2021م.
- المرجعية اللغوية في النظرية التداولية، لعبد الحليم بن عيسى، مجلة دراسات أدبية، مركز البصيرة للبحوث والاستشارات والخدمات التعليمية، الجزائر، العدد الأول، جمادى الأولى 1429ه- ماي 2008م.

رابعًا- الشبكة العالمية (الإنترنت):
- التداوليات وتحليل الخطاب، تأليف: جميل حمداوي، ط(1)، 2015م، منشور على شبكة الألوكة. www.alukah.net
- http://mlitan.maktoobblog
- http://www.elfada.com

تاريخ الاستلام: 2022/09/09 تاريخ النشر: 2022/12/01